(باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما)

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾[1] الآيات.

عن أبى واقد الليثى قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفر! وللمشركين سِدرَةٌ يعكفون عندها وينُوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط! فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط! كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُ أَكبَرُ إنَّهَا السُّنَنُ قُلتُم ـ والَّذى نَفسى بيَده ـ كَمَا قَالَت بَنُو إسرَائيل لمُوسَى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2] لَتَركَبُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم**»[3] رواه الترمذى وصححه.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذى طلبوا.

(باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما)

أى فإن ذلك من الشرك، ومن أعمال المشركين، فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشىء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها. فإن هذا التبرك غلو فيها وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها، وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحد عليه، وهذا عام فى كل شىء حتى مقام إبراهيم وحجرة النبى ﷺ وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة.

---

(١) سورة النجم آية: (١٩). (٢) سورة الأعراف آية: (١٣٨).

(٣) الترمذى: ك (٣٣) ب (١٦) ح (٢٢٨١) إسناده صحيح النسائى الكبرى: ك (٨٢) ب (١٤٦) ح (١١١٨٥) إسناده صحيح أحمد: (٥/٢١٨/ رقم: ٢١٩٥٦) إسناده صحيح (٢١٩٥٩) إسناده صحيح.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبى ﷺ لم يعذرهم! بل رَدَّ عليهم بقوله: «**اللهُ أَكبَرُ إِنَّها السُّنَنُ لَتَتبَعُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم**» فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بنى إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلهاً.

التاسعة: أن نفى هذا مِن معنى (**لا إِلَهَ إِلاَّ الله**) مع وقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قوله (﴿**وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ**) فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سدّ الذرائع.

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليمانى من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته فهو روح التعبد.

فهذا تعظيم للخالق وتعبد له، وذاك تعظيم للمخلوق وتأله له فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذى هو إخلاص وتوحيد، والدعاء للمخلوق الذى هو شرك وتنديد.

الخامسة عشرة: النهى عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية. لقوله «**إِنَّها السُّنَنُ**».

الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه مقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر. فصار فيه التنبيه على مسائل القبر أما من ربك فواضح وأما من إخباره بأنباء الغيب، وأما ما دينك فمن قولهم (اجعل لنا إلهاً إلخ).

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرين: أن المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة، لقولهم:(وَنَحنُ حُدَثَاءُ عَهدٍ بكُفرٍ).

باب ما جاء فى الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لا شَرِيكَ لَهُ﴾[1] الآية.

وقوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[2].

عن علىّ رضى الله عنه قال: حدثنى رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لغَيرِ الله، لَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ وَالِدَيه، لَعَنَ اللهُ مَن آوَى مُحدِثاً، لَعَنَ اللهُ مَن غَيَّرَ مَنَارَ الأَرضِ»[3] رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِى ذُبَاب، وَدَخَلَ النار رَجُلٌ فى ذُبَاب» قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال: «مَرَّ رَجُلان عَلَى قَومٍ لَهُم صَنَمٌ لا يَجُوزُه أَحَدٌ حَتى يُقَرِّبَ لَهُ شَيئاً، فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا قَرِّب فَقَالَ لَيسَ عِندِى شَىءٌ أُقَرِّبُ قَالُوا لَهُ: قَرِّب وَلَو

(باب ما جاء فى الذبح لغير الله)

أى أنه شرك، فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة فى الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هى صريحة بذلك فى الصلاة فقد قرن الله الذبح بالصلاة فى عدة مواضع من كتابه.

وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.

---

(١) سورة الأنعام آية: (١٦٢، ١٦٣). (٢) سورة الكوثر آية: (٢).

(٣) مسلم: ك (٣٥) ب (٧) ح (١٩٧٨) النسائى: ك (٤٣) ب (٣٤) ح (٤٤٢٥) صحيح أحمد: (١/١٠٨/ رقم: ٨٥٨، ٨٦١) صحيحان لغيرهما (١١٨/ رقم: ٩٥٨) صحيح (١٥٢/ رقم: ١٣١٠) صحيح.

ذُبَاباً، فَقَرَّبَ ذُبَاباً، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ وَقَالُوا للآخَرِ: قَرِّب. فَقَالَ: مَا كُنتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيئاً دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهَ فَدَخَلَ الجَنَّةَ»[1] رواه أحمد.

فيه مسائل

الأول: تفسير: ﴿قُل إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾.

الثانية: تفسير: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَرْ﴾.

الثالثة: البداءَة بلعنة مَن ذبح لغير الله.

الرابعة: لعنَ مَن لعنَ والدَيه، ومنه أن تلعن والدى الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن مَن آوى محدثا. وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غَيَّر مَنَار الأرض، وهى المراسيم التى تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض. فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصى على سبيل العموم.

فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذى يجمع أنواعه وأفراده.

«أَن يَصرِفَ العَبدُ نَوعاً أو فَرداً مِن أَفرَادِ العِبَادَةِ لِغَيرِ اللهِ».

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذى لا يشذ عنه شيء.

---

(١) الحديث ليس عند أحمد فى المسند ولكنه فى الزهد له (صـ١٥) إسناده صحيح موقوف على سلمان. والحليه لأبى نعيم: (١/ ٢٠٣)إسناده صحيح موقوف على سلمان الفارسى.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهى قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده بل فعله تخلصاً مِن شرِّهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذى دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافراً لم يقل دخل النار فى ذباب.

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح «**الجَنَّةُ أَقرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِن شِرَاكِ نَعلِه، وَالنَّارُ مِثلُ ذَلِكَ**»[1].

الثالثة عشرة: معرفة أنَّ عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عَبَدةِ الأوثان.

كما أن حد الشرك الأصغر هو:

(كُلُّ وَسِيلَةٍ وَذَرِيعَةٍ يُتَطَرَّقُ مِنهَا إلى الشِّركِ الأَكبَرِ مِنَ الإِرَادَاتِ وَالأَقوَالِ وَالأَفعَالِ التِى لَم تَبلُغ رُتبَةَ العِبَادَةِ).

فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التى يكثر اشتباهها والله المستعان.

---

(١) البخارى: ك (٨١) ب (٢٩) ح (٦٤٨٨) أحمد: (١/ ٣٨٧) رقم: ٣٦٦٦) (٤١٣/ رقم: ٣٩٢٢)، (٤٤٢/رقم: ٤٢١٥) صحاح.

(باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله)

وقول الله تعالى ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[1] الآية.

وعن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانه، فسأل النبى ﷺ فقال: «**هَل كَانَ فيهَا وَثَنٌ من أَوثَانِ الجَاهلِيَّة يُعبَدُ؟ قالوا: لا، قال فَهَل كَانَ فيها عيدٌ من أعيادهم؟**» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أَوفِ بنَذرِكَ، فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لنَذرٍ فى مَعصيَةِ اللهِ وَلا فِيمَا لا يَملِكُ ابنُ آدَمَ**»[2]. رواه أبو داود وإسناده على شرطهما.

فيه مسائل

الأولى: تفسير قوله: ﴿**لا تقم فيه أبداً**﴾.

الثانية: أن المعصية قد تؤثر فى الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البيِّنة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتى إذا احتاج إلى ذلك.

(باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله)

ما أحسن اتباع هذا الباب بالباب الذى قبله فالذى قبله من المقاصد، وهذا من الوسائل، ذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة فإن المكان الذى يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربا إليها وشركا بالله قد صار مشعرا من مشاعر الشرك، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله فقد تشبه بالمشركين وشاركهم فى مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم.

---

(١) سوره التوبة آية: (١٠٨).

(٢) أبو داود: ك (١٦) ب (٢٧) ح (٣٣١٣) صحيح.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر فى تلك البقعة لأنه معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر فى معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفار فى شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعادا للمسلمين عن الموافقة لهم فى الظاهر التى هى وسيلة قريبة للميل والركون إليهم، حتى أنه نهى عن الصلاة النافلة فى أوقات النهى التى يسجد المشركون فيها لغير الله خوفا من التشبه المحذور.

(باب من الشرك النذر لغير الله)

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[1].

وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾[2].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَن نَذَرَ أَن يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعهُ، وَمَن نَذَرَ أَن يَعصِيَ الله فَلا يَعصه»[3].

فيه مسائل

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

---

(١) سورة الإنسان آية: (٧). (٢) سورة البقرة آية: (٢٧٠).

(٣) البخاري: ك (٨٣) ب (٢٨) ح (٦٦٩٦) أبو داود: ك (١٦) ب (٢٢) ح (٣٢٨٩) صحيح الترمذي: ك (٢٠) ب (١) ح (١٥٧٤، ١٥٧٥) صحيحان النسائي: ك (٣٥) ب (٢٧، ٢٨) ح (٣٨٠٨) ٣٨٠٩، ٣٨١٠) صحاح ابن ماجه: ك (١١) ب (١٦) ح (٢١٢٦) صحيح الموطأ: ك (٢) ب (٤) ح (٨) صحيح الدارمي: ك (١٤) ب (٣) ح (٢٣٣٨) صحيح لغيره أحمد: (٦/ ٣٦/ رقم: ٢٤٠٣٠)، (٢٢٤/ رقم: ٢٥٩٣١) صحيحان.

(باب من الشرك الاستعاذة بغير الله)

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1].

وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَن نَزَلَ مَنزِلاً، فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ لَم يَضُرهُ شَيءٌ حَتَّى يَرحَلَ مِن مَنزِلِه ذَلِكَ**»[2] رواه مسلم.

(باب من الشرك النذر لغير الله)

(باب من الشرك الاستعاذة بغير الله)

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث؛ لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك.

---

(١) سورة الجن آية: (٦).

(٢) مسلم: ك (٤٨) ب (١٦) ح (٢٧٠٨) الترمذى: ك (٤٧) ب (٤١) ح (٣٦٨٢) صحيح النسائى الكبرى: ك (٨١) ب (١٥٥) ح (١٠٣٩٤) صحيح (١٠٣٩٥) صحيح لغيره ابن ماجه: ك (٣١) ب (٤٦) ح (٣٥٤٧) صحيح لغيره الموطأ (٢/ ٩٧٨) بلاغاً الدارمى: ك (١٩) ب (٤٨) ح (٢٦٨٠) صحيح لغيره أحمد: (٦/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨) رقم: ٢٧١٨٩) صحيح، (٢٧١٩٢، ٢٧١٩٣) حسنان لغيرهما.

(باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره)

وقول الله: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ . وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾[1] الآية.

وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾[2] الآية.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[3] الآيتين.

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[4].

وروى الطبرانى بإسناده: أنه كان فى زمن النبى ﷺ منافق يؤذى المؤمنين فقال بعضهم قوموا بِنَا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال النبى ﷺ: «إِنَّهُ لا يُستَغَاثُ بِى وَإِنَّمَا يُستَغَاثُ بِاللهِ»[5].

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

متى فهمت الضابط السابق فى حد الشرك الأكبر وهو أن (من صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك) فهمت هذه الأبواب الثلاثة التى وَالَى المصنِّفُ بيانها.

فإن النذر عبادة مدح الله الموفين به، وأمر النبى ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة.

---

(١) سورة يونس آية: (١٠٦، ١٠٧).
(٢) سورة العنكبوت آية: (١٧).
(٣) سورة الأحقاف آية: (٥).
(٤) سورة النمل آية: (٦٢).
(٥) الحديث لم أجده فى معاجم الطبرانى الثلاثة فى مسند عبادة بن الصامت أو أبى بكر فلعله فى الدعاء للطبرانى وقد أورده الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٥٩) وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث اهـ. وقد رواه أحمد بغير هذا السياق فى مسنده (٣١٧) برقم (٢٢٧٧٢) والحديث ضعيف.

فيه مسائل

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العامِّ على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾.

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: إن أصلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التى بعدها.

السادسة:كون ذلك لا ينفع فى الدنيا مع كونه كفراً.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغى إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

فإن العبَادَةُ (اسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرضَاهُ مِنَ الأَعمَالِ وَالأقوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ) والنذر من ذلك.

وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به فى كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد وصرفها لغير الله شرك وتنديد.

والفرق بين الدعاء والاستغاثة أن الدعاء عام فى كل الأحوال والاستغاثة هى الدعاء لله فى حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبى أو ملك أو ولى أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضا من العقل، فإن أحداً من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره بل الكل فقراء إلى الله فى كل شؤونهم.

obeikandl.com

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعى لا يدرى عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعى وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور هى سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه فى الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله.

obeikandl.com

(باب قول الله تعالى)

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾[1] الآية.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[2] الآية.

وفى الصحيح عن أنس قال: «شُجَّ النبىُّ ﷺ يوم أُحُد وكسرت رباعيته، فقال: كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ شَجُّوا نَبِيَّهُم؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[3] [4].

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ

(باب قول الله تعالى)

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

هذا شروع فى براهين التوحيد وأدلته، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره.

فتقدم أن التوحيدين: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد فى الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذى لا يستحق العبادة سواه.

---

(١) سورة الأعراف آية: (١٩١، ١٩٢). (٢) سورة فاطر آية: (١٣).

(٣) سورة آل عمران آية: (١٢٨).

(٤) البخارى: ك(٦٤) ب(٢١) فى ترجمة الباب، مسلم: ك(٣٢) ب(٣٧) ح(٧١٩١). الترمذى: ك(٤٦) سورة آل عمران ح(٣٢٠٧) حسن لغيره (٣٢٠٨) حسن لغيره عدا (ورمى رمية على كتفه) فقد غلط يزيد بن هارون فيه قاله عبد بن حميد. النسائى فى الكبرى: ك(٨٢) سورة آل عمران ب(٦٧) ح(١١٠٧٧) حسن لغيره. ابن ماجه: ك(٣٦) ب(٢٣) ح(٤٠٢٧) حسن لغيره. أحمد: (٣/ ٩٩/ رقم: ١١٩٦٢) حسن لغيره (٢٠١/ رقم: ١٣٠٨٧) حسن لغيره. (٢٠٦/ رقم: ١٣١٤٢) حسن لغيره (٢٥٣/ رقم: ١٣٦٦٤) صحيح (٢٨٨/ رقم: ١٤٠٨٠) صحيح.

يقول: إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر: «**اللَّهُمَّ العَن فُلاَناً وفُلاناً**» بعدما يقول: سَمِعَ اللهُ لمن حمده رَبَّنا ولك الحمد» فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾.

وفى رواية: يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام[1]، فنزلت ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾.

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال قامَ رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿**وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ قال: «**يَا مَعشَرَ قُرَيش**، أو كلمة نحوها ـ **اشتَرُوا أَنفُسَكُم لاَ أُغنى عَنك مِنَ الله شَيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئًا، يَا صَفَيَّةُ عمة رسول الله** ﷺ**، لاَ أُغنى عَنك مِنَ الله شَيئاً، ويَا فَاطِمَةُ بِنتُ مُحَمَّد سَلِينى مِن مَالى مَا شِئتِ لاَ أُغنى عَنكِ مِنَ الله شَيئاً**»[2].

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين، ومن عبد مع الله فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق وهو الرزاق لكل مرزوق المدبر للأمور كلها الضار النافع المعطى

(١) البخارى: ك(٦٤) ب(٢١) ح(٤٠٦٩) وأطرافه (٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦). الترمذى: ك(٤٦) سورة آل عمران ح(٣٢٠٩٠) حسن لغيره، (٣٢١٠) صحيح لغيره. النسائى (١٢)ب (٢١) ح (١٠٧٨) صحيح لغيره. الكبرى: ك(٨٢) سورة آل عمران ب(٦٧) ح(١١٠٧٥، ١١٠٧٦) صحيحان لغيرهما أحمد: (٢/ ١٩٣ رقم: ٥٦٧٦) حسن لغيره (١٤٧/ رقم: ٦٣٥٤، ٦٣٥٥) صحيحان.

(٢) البخارى: ك(٥٥) ب(١١) ح(٢٧٥٣) وطرفه (٤٧٧١). مسلم: ك(١) ب(٨٨، ٨٩) ح(٢٠٤، ٢٠٦). الترمذى: ك(٤٦) سورة الشعراء ح(٣٤٢٠) حسن لغيره (٣٤٢١) حسن لغيره. النسائى: ك(٣٠) ب(٦) ح(٣٦٤٨) صحيح (٣٦٤٩) صحيح لغيره. أحمد: (٢/ ٣٣٣/ رقم: ٨٤٢٣) حسن لغيره (٣٥٠/ رقم: ٩٦٢٢) حسن لغيره. (٣٦٠/ رقم ٨٧٤٧) حسن لغيره (٤٤٩/ رقم: ٩٨٠٧) حسن لغيره (٥١٩/ رقم: ١٠٧٣٦) حسن لغيره الدارمى: ك(٢٠) ب(٢٣) ح(٢٧٣٢) صحيح.

(فيه مسائل)

الأول: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون فى الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه فى ذلك: ﴿**ليس لك من الأمر شىء**﴾.

السابعة: قوله ﴿ **أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ** ﴾[1] فتابَ عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت فى النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم ى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعين فى القنوت.

المانع الذى بيه ملكوت كل شىء وإليه يرجع كل شىء وله يقصد ويصمد ويخضع كل شىء.

فأى برهان أعظم من هذا البرهان الذى أعاده الله وأبداه فى مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله، فهو دليل عقلى فطرى كما أنه دليل سمعى نقلى على وجوب توحيد الله وأنه الحق وعلى بطلان الشرك.

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسهم به رحما فكيف بغيره؟ فتبا لمن أشرك بالله وساوى به أحدا من المخلوقين، لقد سلب

---

(١) سورة آل عمران آية: (١٢٨).

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾[1].

الثانية عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «**لا أُغني عَنكَ منَ الله شيئًا**» حتى قال: «**يَا فَاطِمَةُ بِنتُ مُحَمَّد لاَ أُغني عَنك منَ الله شَيئاً**» فإذا صرَّح - وهو سيد المرسلين - بأنه لا يغنى شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلاَّ الحق، ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس اليوم، تبيَّن له التوحيد وغربة الدين.

عقله بعد ما سلب دينه.

فنعوت البارى تعالى وصفات عظمته وتوحده فى الكمال المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة الا هو.

وكذلك صفات المخلوقات كلها، وما هى عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها فى كل شؤونها، وأنه ليس لها من الكمال إلا ما أعطاها ربها من أعظم البراهين على بطلان إلهية شىء منها.

فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له والثناء عليه، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه وانصرف تعلقه بالمخلوقين خوفا ورجاء وطمعا والله أعلم.

---

(١) سورة الشعراء آية: (٢١٤)

(باب قول الله تعالى)

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[1].

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمرَ فى السَّمَاء ضَرَبَت المَلاَئكَةُ بأَجنحتهَا خضعاناً لقَوله كَأَنَّهُ سلسلَةٌ عَلَى صَفوَان ينفذهم ذَلكَ، حَتَّى إِذَا فَزِعَ عَن قلُوبهم قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟ قالوا الحَقّ وَهُوَ العَلى الكَبير، يَسمعُهَا مُسترقُ السَّمع وَمُسترقُ السَّمعِ هكَذَا بَعضهُ فَوقَ بَعض، وَصَفَهُ سُفيَانُ بكَفِّهِ، فَحرفَهَا وَبَدَّدَ بَينَ أَصَابعه فَيسمعُ الكَلمَةَ فَيُلقيهَا إِلَى مَن تَحتَهُ، ثُمَّ يُلقيهَا الآخَرُ إِلَى مَن تَحتَهُ حَتَّى يُلَقيهَا عَلَى لسَان السَّاحر أَو الكَاهن، فَرُبَّمَا أَدركَهُ الشِّهَابُ قَبلَ أَن يُلقيهَا. وَرُبَّمَا أَلقَاهَا قَبلَ أَن يُدركَهُ، فَيكذبُ مَعَهَا مائَةَ كذبَة، فَيُقَالُ أَليسَ قَد قَالَ لَنَا يومَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا: فَيصَدَّقُ بتلكَ الكَلمَة التى سُمعَت منَ السَّمَاء»[2].

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَن يُوحِيَ بِالأَمرِ، تَكلَّمَ بِالوَحى أَخَذَت السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجفَةٌ

باب قول الله تعالى

﴿حتى اذا فزع عن قلوبهم﴾

وهذا أيضا برهان عظيم آخر على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وهو ذكر النصوص الدالة على كبرياء الرب وعظمته التى تتضاءل وتضمحل عندها عظمة

(١) سورة سبأ آية: (٢٣).

(٢) البخارى: ك (٦٥) سورة الحجر ب (١) ح (٤٧٠١) وطرفاه (٤٨٠٠، ٧٤٨٢).
أبو داود: ك (٢٤) ح (٣٩٨٩) صحيح.
الترمذى ك (٤٦) سورة سبأ ح (٣٤٥٩) صحيح لغيره.
ابن ماجه: المقدمة ب (١٣) ح (١٩٤) صحيح لغيره.

ـ أَو قالَ ـ رعدَة شَديدَةٌ ـ خَوفاً منَ الله عَزَّ وَجَلَّ فَإذا سَمِعَ ذَلكَ أَهلُ السَّمَوَات صُعقُوا وَخَرُّوا لله سُجَّداً، فَيَكُونَ أَوَّلُ مَن يَرفَعُ رَأسَهُ جبريلُ فَيُكَلِّمُهُ اللهُ منَ وَحيه بمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمرُّ جبريلُ عَلَى الملائكة: كُلَّمَا مَرَّ بسَمَاء سَأَلَهُ مَلائكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جبريلُ، فَيَقُولُ قَالَ: الحَقّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبيرُ. فَيَقُولُونَ كُلُّهُم مثلَ مَا قَالَ جبريلُ، فَينتَهِي جبريلُ بالوَحى إِلَى حَيثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

فيه مسائل

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصا من تعلق على الصالحين، وهى الآية التى قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله ﴿ **قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل يجبهم بعد ذلك بقوله ـ قال كذا وكذا.

السادسة: ذكر أن أول من رفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشى يعمّ أهل السموات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السموات لكلام الله.

المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوى والسفلى ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه أو تتبدى لهم بعض عظمته ومجده، فالمخلوقات بأسرها خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه، فمن كان هذا شأنه

(١) السنة لابن أبى عاصم: (١/٢٢٧/ رقم: ٥١٥) إسناده ضعيف.
الأسماء والصفات للبيهقى صـ٢٠٢، صـ٢٠٣ إسناده ضعيف.

العاشرة: أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها فى أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبه.

السابعة عشرة: قبول النفوس الباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة.

التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرجفة والغشى خوفا من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدا.

فهو الرب الذى لا يستحق العبادة أو الحمد والثناء والشكر والتعظيم والتأله إلا هو، ومن سواه ليس له من هذا الحق شىء.

فكما أن الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله لا يمكن أن يتصف بها غيره، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذى لا يشاركه فيه مشارك بوجه.